

العقل والنفس والمعرفة عند الكندي : اولا : النفس والروح

يجمع الكندي في مسألة النفس بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو ولا نعرف للكندي رأيا خاصا في النفس، ويقول أنها أي النفس "تمامية جرم طبيعي ذي آلة قابلة للحياة وهي أيضا استكمال أول لجسم طبيعي ذو حياة بالقوة: " هذا ما كان فيه الكندي على رأي أرسطو، أما النفس في رأي أفلاطون هي "جوهر عقلي متحرك من ذاته، وهي جوهر الهي بسيط لا طول له ولا عرض ولا عمق، وهي نور البارئ والعالم الشريف الذي تنتقل إليه نفوسنا بعد الموت، وهو مقامها الأبدى ومستقرها الدائم .

فالنفس عند الكندي بسيطة، شريفة، تامة. وجوهرها من الجوهر الإلهي، كما يأتي الضوء من الشمس. والنفس متميزة من البدن، وهي جوهر روحي، إلهي، لأن طبيعتها تتأفي كل ما يطرأ على البدن، مثل الشهوات والغضب.

وهذه النفس خالدة و حين تفارق البدن، تعرف كل ما في العالم، ولن يخفى عليها شيء. لكنه لا يقطع شيء فيما إذا وجدت النفس قبل البدن على رأي أفلاطون أو وجدت معه، وعلاقة النفس بالبدن عارضة وهي لا تفعل أفعالها إلا بالبدن، وهي متحدة به ولكنها تبقى بعد فئانه.

ويقسم الكندي قوى النفس إلى ويقسم الكندي قوى النفس إلى ثلاثة أقسام:
- قوة غضبية تتحرك على الإنسان في بعض الأوقات.
- قوة عقلية تمنع الغضب.
- قوة شهوانية.

ويرى الكندي أن الروح هي شيء غير مادي، يرتبط بالعالم المادي عن طريق تواجدها في الجسد المادي. لشرح طبيعة وجودنا الدنيوي، أخذ الكندي بفكرة أبكتاتوس، الذي وصف الوجود البشري بسفينة في رحلة عبر المحيط، راسية مؤقتاً على جزيرة، وسمحت لركابها بالنزول، وأن الركاب الذين بقوا لفترة طويلة على الجزيرة، قد تتركهم السفينة عندما تبحر مجدداً. فسر الكندي المثال بمفهوم رواقى، أننا لا يجب أن نرتبط بالأشياء المادية (التي تمثلها الجزيرة)، التي ستزول عنا (عند رحيل السفينة

أما الروح كيان بسيط وجوهرها ينبعث من الخالق كما تنبعث أشعة الشمس. إنها روحية وذات جوهر إلهي وهي منفصلة ومتميزة عن الجسد. عندما ينفصل عن الجسد ، يكتسب معرفة كل شيء في العالم ويكون لديه رؤية لما هو خارق للطبيعة. بعد انفصاله عن الجسد ، يذهب إلى عالم العقل ، ويعود إلى نور الخالق ، ويرى الله.

الروح لا تنام. فقط عندما يكون الجسد نائماً ، لا يستخدم الحواس. وإذا ظهرت الروح تستطيع أن ترى أحلاماً رائعة في النوم وتستطيع التحدث إلى النفوس الأخرى التي انفصلت عن أجسادها. تم شرح نفس الفكرة في أطروحة الكندي: "في النوم والأحلام" ، والتي تُرجمت إلى اللاتينية. النوم هو التخلي عن استخدام الحواس. عندما تتخلى الروح عن استخدام الحواس وتستخدم العقل فقط ، فإنها تحلم.

ملكات الروح الثلاث هي العقلانية والسريعة الغضب والشهية. من يبتعد عن ملذات الجسد ويعيش معظم حياته في التأمل للوصول إلى حقيقة الأشياء ، فهو الرجل الصالح الذي يشبه الخالق كثيراً.

والدليل على ذلك ما ذكره أفلاطون من أمر كثير من الحكماء الأقدمين الذين تخلصوا من عوارض الدنيا وكرسوا نفوسهم للبحث في الحقائق، فأدركوا المستور، وعرضوا أسرار النفوس. فإن كان الأمر هكذا والنفس لا تزال مرتبطة بالبدن، فكم بالأحرى تستطيع إذا غادرت البدن وعاشت في عالم الحق حيث نور الله؟ ويضيف أفلاطون أن من جعل همه في هذه الدنيا الاستمتاع بأطيب الطعام واللذات الجنسية، فإنه لن يستطيع بنفسه الناطقة أن يصل إلى معرفة هذه الأشياء النبيلة ولن يستطيع بنفسه الناطقة أن يصل إلى معرفة هذه الأشياء النبيلة ولن يستطيع التشبه بالله. وأفلاطون _ هكذا يقول الكندي _ يشبه القوة الشهوانية في الإنسان بالخنزير، والقوة الغضبية بالكلب، والقوة الناطقة (العاقلة) بالملك، ويرى أن من استولت عليه القوة الشهوانية فهو كالخنزير، ومن استولت عليه القوة الغضبية فهو كالكلب، ومن استولت عليه قوة النفس النطقية، ويتجرد للتفكير والبحث عن حقائق الأشياء واكتناه الأسرار _ هو رجل فاضل قريب من التشبه بالله. ذلك أن صفات الله هي: الحكمة، والقدرة، والعدل، والخير، والجمال، والحق. وبهذا يشارك في صفات الله.

ويرى الكندي ان النفس إذا زهدت في الشهوات واستكفت عن الأدناس، واهتمت بالبحث ومعرفة حقائق الأشياء _ فإنها تصير مصقولة ، وتتحد بها صورة نور الله، فينعكس فيها نور الله، وتبدو فيها صور جميع الأشياء كما تتجلى صور المحسوسات في المرآة الصقيلة.

وهذه النفس لا تنام أبداً، لكنها لا تستعمل الحواس إبان النوم. ولو كانت النفس تنام، لما عرف الإنسان ما يراه في الحلم، ولا غيره مما يراه في اليقظة. وإذا بلغت النفس تمام الصفاء، شاهدت في النوم أحلاماً رائعة.

ونحن في هذه الدنيا كما لو كنا على معبر يمرّ عليه المسافرون. ولن نبقى فيها طويلاً. إن مقامنا الحق هو في العالم العلوي الشريف الذي ستنقل إليه النفوس بعد الموت، حيث تكون بقرب الخالق، ونوره، وهناك تنعم بنوره ورحمته.

محل النفس بعد الموت

وفي مسألة محل النفس بعد الموت يعتمد الكندي على ما قاله أفلاطون من أن مقام النفس بعد الموت هو وراء الفلك، في العالم الإلهي، حيث نور الخالق.

لكن لا تذهب، كل نفس تترك بدنها فوراً إلى هذا المقام، لأن بعض النفوس تغادر أبدانها وهي ملطخة بالأدناس. ولهذا فإن بعضها يذهب إلى فلك القمر حيث يقضي هناك فترة من الزمن، فإذا ما تطهرت وتهذبت، ترقّت إلى فلك عطارد حيث تمضي فترة من الزمن، فإذا ما تطهرت ترقّت إلى الفلك الأعلى، وصارت نقية من كل أناس الحواس. وهناك تصعد إلى عالم العقل، وتتجاوز الفلك الأقصى (السماء الأولى) وتقيم في أشرف محل. وهناك تعرف كل الأشياء، صغيرها وكبيرها، ويكل الله إليها جزءاً من تدبير العالم. وقدرة هذه النفس تصير مشابهة لبعض المشابهة لقدرة الله.

يعرف الكندي الفلسفة بقوله (الفلسفة بجوهرها الخاص هي علم الأشياء الابدية الكلية بقدر طاقة الإنسان) يعتبر الكندي العقل أبه "جوهر بسيط يدرك الأشياء بحقائقها، والعقل الانساني له طاقة وقدرة محددة ينبغي أن يقف عندها"،

ونجد الكندي الذي يثق في العقل ثقة مطلقة كما فعل أرسطو، ولكنه أدرك أن العقول متفاوتة، وهذا يعتبر دليل على أن لكل عقل قدرته وطاقته.

ينتقل الكندي فجأة من المناقشة المعرفية أعلاه إلى المناقشة الوجودية. وعليه فإن السؤال الذي يطرح نفسه هل العقل واحد أم كثير. إنه واحد من جانب والعديد من الجوانب الأخرى.

كان الكندي مرتباً بين مذاهب أفلاطون وأرسطو وأفلوطين فيما يتعلق بالروح ، خاصةً لأنه راجع الأجزاء المترجمة من أفلوطين ، كتاب نسب خطأً إلى أرسطو. استعار من أفلوطين عقيدة الروح ، واتبع نموذج أرسطو في نظريته عن العقل. في أطروحة قصيرة بعنوان "في الروح" ، يلخص ، كما يقول ، آراء "أرسطو وأفلاطون والفلاسفة الآخرون.

ويقسم الكندي العقل أربعة أقسام هي :

١. عقل بالفعل دائماً وهو العقل الأول الذي هو علة كل معقول في الوجود (الله).

٢. عقل بالقوة في نفس الإنسان.

٣. عقل بالملكة (العقل المستفاد) وينتقل في النفس من القوة الى الفعل فيكتسب تلك الملكة.

٤. عقل يمارس الملكة التي اكتسبها العقل فتبين به النفس عما فيها بالفعل.

عندما نأتي إلى الكندي لا نجد ثلاثة عقول بل أربعة. وقسم العقل في العادة إلى عقليين ، أحدهما امتلاك المعرفة دون ممارستها ، والآخر ممارسة المعرفة. الأول يشبه الكاتب الذي تعلم الكتابة اليدوية ويملك هذا الفن ؛ والآخر يشبه الشخص الذي يمارس الكتابة في الواقع.

ونقتبس الفقرة الافتتاحية من رسالة الكندي :

"رأى أرسطو في العقل أنه من أربعة أنواع:

(١) الأول هو العقل الذي يعمل دائماً.

(٢) والثاني هو العقل الكامن في النفس.

(٣) والثالث هو العقل الذي انتقل في الروح من احتمالية إلى حقيقة.

(٤) والرابع العقل الذي نسميه الثاني ". وما يعنيه بكلمة "الثاني" هو الدرجة الثانية من الواقعية كما هو موضح أعلاه في التمييز بين مجرد امتلاك المعرفة وممارستها.

و العقل يُصبح ساكناً غير مُتحرراً في حالة عدم الاستخدام، ولكن عندما يقوم بعدة عمليات صغيرة يُمكنه أن يتحول إلى وضع الحراك الدائم ويصل إلى نتائج لا حدود لها. أن العقل لا يمكنه فهم الأشياء ببساطة عن طريق فحص واحدة من النوع أو أكثر من مثيلاتها، وأن الأشياء لا تدرك إلا عن طريق التأمل والإدراك بالعقل أولاً.

وللإسكندر الأفروديسي رسالة صغيرة "في العقل" ترجمت إلى العربية وكان لها تأثير هائل في الفلسفة المسلمين وفيها يقسم العقل إلى ثلاثة أنواع:

١_ العقل الهيلولاني،

٢_ العقل المستفاد،

٣_ العقل الفعال.

والأول سمي بذلك لشبهه بالهيلولي (المادة)، وهو العقل بالقوة عند أرسطو، وهو خال من كل تحديد. وليست له صورة، لكن يمكنه أن يتخذ أية صورة. ويبقى طالما كان الإنسان حياً، ويفنى بفناؤه.

أما العقل بالملكة أو العقل المستفاد فلم يذكره أرسطو، وفيه توجد المبادئ التي هي المقولات الأولى.

وأعلى هذه العقول الثلاثة العقل الفعال: إنه مثل النور الذي يضيء لنا المعقولات، وبواسطته ينتقل العقل الهيلولاني من القوة إلى الفعل.

ويمكن إدراك الفارق بين هذين النوعين الأخيرين بأن نقول أن العقل الثالث هو الذي اكتسب الملكة، والعقل الرابع هو الذي يمارس ما اكتسب: الثالث مثل الطبيب الذي تعلم الطب لكنه لا يمارسه بالفعل، والرابع مثل الطبيب الذي يمارس مهنة الطب بالفعل، والتفرقة_ كما هو واضح _ ضئيلة.